[٣]

الاتحاد السوفياتي والعرب والوفاق الدولي

ان سياسة الوفاق الدولي التي يبدو ان تسوية أزمة الشرق الاوسط تتم في ظلها ، ليست جديدة بل هي استمرار وتصعيد لسياسة التعايش السلمي التي بدأها الاتحاد السوفياتي منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي الذي أقر هذه السياسة لابعاد شبح الحرب النووية الذي كان يخيم على العالم . وبالرغم من هذه السياسة التي حكمت علاقات السوفييت مع العالم الرأسمالي فلقد شهد العالم جملة من التغييرات والمعارك المحلية الساخنة وكان للاتحاد السوفييتي دوره الطليعي في مساندة هذه التغيرات . علما بان السوفييت لم يكونوا في أي وقت من الاوقات بديلا للحركات الثورية في القيام بمهماتها الوطنية . فقد كانت المساندة مشروطة بتوفر القدرة الذاتية لدى هذه الحركات للقيام بالمهام المطلوبة منها . والى جانب ذلك قدم الاتحاد السوفياتي المساعدات ، على اختلاف انواعها للدول ذات التوجهات التقدمية انسجاما مع سياسته التي أعلنها في أكثر من وقت الا وهي بناء اقتصاد هذه الدول لتعزيز صمودها السياسي وترسيخ مواقعها التقدمية .

وبالرغم من ان الموقف السوفييتي كان محكوما بشكل عام بهذا الاتجاه المبدئي ، فان الكثير من الهمس كان يدور حول السياسة الدولية التي اختطها الاتحاد السوفييتي لنفسه في محاولة مشبوهة للاساءة لموقف السوفييت من خلال تحميله مسئولية الفشل الذي قد يلحق بالحركة الثورية في أي منطقة من العالم ومن المنطقة العربية .

ان الوفاق هو وفاق بين متناقضين وليس بين متضادين او حليفين والتناقض هو تناقض في المواقف السياسية والمصالح الحيوية ، وهكذا فان الطابع السلمي لتناقضهما لا يمكن ان يلغي من طابع الصراع في علاقتهما . وهذا ما عبر عنه هنري كيسنجر حين قال « ان الانفراج في العلاقات وخصوصا بين اميركا وروسيا لا يزيل المصلحة المتضاربة ولا يمنع الاصطدامات العرضية » (النهار ١٩٧٣/١١/١٤) .

ان المواثيق التي تعقدها الامبريالية لا تلغي طابعها العدواني وحرصها على تقليم أظافر المعسكر الاشتراكي وتنشيط التناقضات داخل صفوفه في محاولة منها لاضعافه ومن ثم للانقضاض عليه ، ادراكا منها للخطر التاريخي الذي يمثله عليها وعلى مصالحها . قد لا يكون المعسكر الاشتراكي مستهدفا مباشرة في هذه المرحلة ولكن مطاردة نفوذه في جميع مناطق العالم هي الخطوة المنطقية الاولى لكي تتمكن الامبريالية من الانتقال الى مرحلة الهجوم الذي يستهدفه مباشرة بعد ان تكون أظافره وامتداداته قد قلمت .

ولهذا كانت الامبريالية الامريكية تعتبر التواجد السوفييتي في مصر وسوريا قضيتها الاساسية التي تقرر اسلوب تعاملها مع ازمة الشرق الاوسط الى درجة ان نكسون اعتبر المهمة الرئيسية لحكومته ، في البيان الذي وجهه الى الامة في مطلع العام ١٩٧٢ انهاء الوجود السوفياتي في مصر .

وبالمقابل فان الاتحاد السوفييتي يعي مصالحه المباشرة ويعي درجة الخطر الذي تمثله امريكا ومخططاتها عليه . فالتعايش من أجل الصراع هو القانون الذي يحكم علاقته بأمريكا وحلفائها . كما وان أمنه مرتبط مباشرة بحزام الاصدقاء الذي يحيط به وكذلك بحجم علاقاته وتحالفاته . وحتى بالمقياس الضيق ، فان أمن الاتحاد السوفييتي مرتبط بالمحافظة على مصالحه الحيوية ، هذه المصالح التي تتأثر سلبا وايجابا ، بدائرة نفوذه سواء في المجالات الاقتصادية او السياسية او الفكرية .

من المهم جدا الاشارة الى ان الاتحاد السوفييتي ، وهو يقيم علاقة وفاقية مع امريكا ، فانه يقيمها من موقع متوازن مع الموقف الامريكي وليس من موقع ضعف ، فتوازن القوى هو الذي فرض سياسة الوفاق والتعايش السلمي ، كما صرح بذلك الماريشال اندريه غريشكو وزير الدفاع السوفييتي في الكلمة التي ألقاها بالذكرى السادسة والخمسين لثورة اكتوبر ، اذ قال « لقد تم التوصل الى نجاحات في مجال تخفيف حدة التوتر الدولي وذلك بفضل وازدياد جبروت الاتحاد السوفييتي اقتصاديا ودفاعيا وبفضل تأثيره الدولي » (النهار ١٩٧٣/١١/٨) . وعندما تقوم سياسة الوفاق في ضوء توازن القوى ، فليس هنالك ما يفرض